# (مِيلَاد هِجر)

كيف يكون من الحب ما قتل وأنا بكَ أحيا!

السادس والعشرون من ديسمبر، الحادية عشرة ليلًا وهو يجلس خلف عجلة القيادة بالسيارة، وخلف المذياع كاظم الساهر يسأله بلساني "أتحبني بعد الذي كان" ليجيب بقلبه وصوته الذي أعشق "إني أحبّك رغم ما كان"

أنظر له بابتسامة وكأنه كل اعتذارات الكون عن أحزان سابقة انتهت جميعها بوجوده، ساعة فاصلة ليشرق عام جديد هو كل انتصاراته، ربما ينسى هو ذكرى ميلاده أو يشُك في جنون عقلي على تلك النزهة المفاجئة وسر هذا الثياب الذي يناقض برودة "طوبي" لكنه قد اعتاد جنوني منذ زمن.

مُمتنَّة بشدة لخلايا صبري التي جعلتني أرتب كل هذه التفاصيل وأن أستطيع لأول مرة في العمر أن أخبئ عنك شيئًا، سأقضي أسابيعَ ليست بالقليلة أعتذر لك عن غيرتي المفرطة وشكوكي الحمقاء التي تثبت صغر عقلي.

ذاك الصغير القابع بفراشه قدَّم لي أعظم تضحيات الأبناء في استسلامه للنوم مبكرًا، سأقدم له الكثير من الألعاب والعديد من الحلوى بالغد اعتذارًا عن تسرعي وتوتري وقلقي وعدم تركيزي هذا اليوم.

بالتأكيد سأتقن طعام الغد نيابةٍ عن أشباه طعام اليوم، قد كان عقلي غائبًا لما أعددته للاحتفال بذكرى ميلاد روحي.

ربما يندهش من نظراتي إليه، لكنني أدخر ملامحه بقلبي، أتساءل كيف يمكن للمرء أن ينسى ذكرى ميلاده! كيف يتوقف عن الاستعداد لاستقبال عهد جديد تاركًا ورائه كل ما مضى، تذكرت بشيء من الأسى كل الخراب الذي أهديته إياه عامه الماضي، ليت الحياة بهذه السهولة، أن أرتدي ثوب نزار قباني وأقول لكَ بعد كل هذا " تتبسم وتمسك لي يدي* فيعود شكي فيكَ إيمانًا"

الأيام سائرة بنا لكنني ثائرة عليها، لا ذنب له أن نساء الكون بأسره يهيمون به عشقًا، الأهم هو "هو" من يحب! وأين يبقى! وكيف يحيا! حتى لو كنت....

"ماضيك لا أنوي إثارته * حسبي بأنك ها هنًا الآن"

فإن كان من الحب ما قتل، فإنه قتلني بالأيام التي ابتعدت فيها عنه بناء على رغبة تفكير أنثوي ساذج.

اللعنة على تلك الغيرة القاتلة أو اللص غير الشريف الذي يسرق عمري وحبي بالبطيء أو الشاهد الذي لا يكذب عن قلة الحب أو انعدامه بالأساس، تلك الرسائل التي تصل إلى بيتي ويتساقط منها الغزل كُتِبَت له، فما ذنبهُ إذن، الأحق أنها هي المتهمة وليس هو، تقبع في المنزل المقابل وتراقبه صباحًا مساءً كأنه الشمس والقمر معًا، سأحرقها بالتأكيد أو الأولى أن أحرق غبائي الذي يثبت وبالأدلة أنني أكرهه ليس فقط بل أنني ألدُّ أعدائه.

هتف كاظم بكل طاقته " هذا الهوى نار بداخلنا" لم يكذب بالتأكيد.. ما زالت ناره مشتعلة بروحي وتحرق قلبي.

ألعن غبائي وغيرتي وجنوني فيردد "عيوب المُحب مزايا، لوّلا المحبة يا مدلّلتي، ما أصبح الإنسانُ إنسانا" صدقني سأقتصُ لكَ مني يا عمري.

قُبلة حانية على يدي اليسرى وكأنها إشارة منه ليعيدني إلى الواقع، ابتسامة حياة تشرق بقلبي ثم تتلاشى وتخلف ورائها عواصف وأعاصير ودمارًا يسع الكون، يصدح هاتفه معلنًا عن اتصال منها، لم يجبه بالتأكيد، فيضان الغيرة الذي يفتح مجالًا للشك يسِع عامًا قادمًا، تكرار اتصالات كثيفه ويزداد توتره ولم يستطع التفوه بكلمة، فقد حفظ تفكيري عن ظهر قلب فهذه الثورة بالتحديد تحدث كل يوم، تبدُل الحال ولم يتبدل لكن هذه المرة تختلف وكأن تلك الحمقاء أقسمت على عدائي، سأحرقها وهذا القرار أصبح قيد التنفيذ.

أفعل كل شيء في الحياة بحُبك، لكن تصرفاتي تثبت لكَ كل شيء عدا الحب.

اتهامات بالخيانة وقرار بالفراق وأحزان لا تنتهي وعام جديد بتمزق قلب وميلاد هجر ثم أردفت بصوت متحشرج ونبرة جندي عائد من معركة دامية، حرب ابتدأت بعقلي وأشعلتني بهزيمتها "أوقف تلك السيارة، أريد أن أنهي كل شيء، لم أستطع أن أتحمل كل هذا، لن تتغير، تغردان الحب معًا في الوقت الذي أرتب فيه اعتذارًا عن سوء ظني بكَ، فلتتركني وشأني ولتذهب إليها تبتدأ بها عامك الجديد"

تشتعل رأسي بالأفكار، سأطير وحدي قليلًا في سماء سوء ظني، ربما أتأخر كثيرًا لكنني لن أعود إلا ومعي دليل براءة جنوني نحوك.

لم ينطق بكلمة واحدة، فقط وضع رأسه بين كفيه في محاولة أن يرفع الله عنه بلائي، يصرخ الهاتف في محاولة أخيرة وبائسة للرد، مدَّ يده بشيء من الوهن ورد بصوت مهموس هو كل قوته، قد كانت غيرتي وفضولي كافيين أن أسمع المكالمة رغم المسافة التي بيننا، " السيد العزيز، رجاء الحضور في أسرع وقت، هناك حريق بالمنزل والصغير في حالةٍ يُرثى لها بعدما نجحت الجارة في انتشاله من الموت"

لا أدري كم من الوقت قد فات لكن هذا المشهد لم يُفارق عقلي لحظة، لكنني أريد أن أراك، ليتك تسمعني، أخبرني أي طريقة في العالم تكفر لي عن خطيئتي.

يرتفع صوت زئيره من بعيد محدثًا ضجة في روحي قائلًا بقسوة "مُحكمة" يرتدي غيابه زي القاضي متفحصًا تفاصيل قضية "غيرتي عليه"

أقف في قفص الاتهام منتظرة حضور قلبه الشاهد الوحيد على براءتي، يرتفع صوت جنون ورعونة أفعالي السابقة في ذهنه مرتدية زي النيابة تقدم له دليل إدانتي، أرى ملامح غضبه مشتعلة لكن هناك قلبي ينتظر قلبه عله يأتي ويخلصني، صدح صوت غيابه مرة ثانية: حكمت المَحكمة على قلبه المتهم وجميع مشاعره بالإعدام حنينا وتجاهلا. رفعت الجلسة وأعلن الهجر.

سأطعن في الحكم بالتأكيد، ما زلت في انتظار حضور قلبه، الشاهد الوحيد على جريمتي.

سأطعن في كل شيء، هذا الشهد الذي يبتدىء بالاحتفال بذكرى ميلادك يستحيل أن يكون ميلاد هجرك، انتهى كل عهدي بالكلام وربما بالحياة إلى أن تجيب، أتحبني بعد الذي كان؟؟

***